﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الملك: 27]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

لمّا ذكرتِ الآياتُ السّابقةُ إنكارَ المشركين للبعثِ؛ ناسب بيان موقِفِهم عندَ وُقوعِه، وكيف حالُهم إن هُم عايَنوهُ، ورأوهُ حاضرًا.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿زُلْفَةً﴾: (زلف) تدُلُّ اشتقاقاتُه على اندِفاعٍ وتَقَدُّمٍ في قُرْبٍ إلى شَيْءٍ، يُقالُ منْ ذَلِكَ: ازْدَلَفَ الرَّجُلُ: تَقَدَّمَ، وسُمِّيَتْ مُزْدَلِفَةَ بِمَكَّةَ؛ لاقترابِ النّاسِ إلى منًى بعد الإفاضَةِ من عَرَفاتٍ، ويُقالُ: لِفُلانٍ عِنْدَ فُلانٍ زُلْفى، أي: قُرْبى، قال اللّه جَلَّ وعَزَّ: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ [ص: 25]، والزَّلَفُ والزُّلْفَةُ: الدَّرَجَةُ والمَنْزِلَةُ، وأَزْلَفْتُ الرَّجُلَ إلى كَذا: أَدْنَيْتُهُ[1]، والمعنى هُنا في الآيةِ: قريبًا[2].

2) ﴿سِيٓـَٔتْ﴾: مِن: ساء يَسوءُ سوءًا، نعتٌ لكلِّ شيءٍ رديءٍ، وساء الشَّيءُ: قَبُحَ، فهو سَيِّئٌ، والسّوء: اسمٌ جامعٌ للآفاتِ والدّاء[3]، وأصلُ السّوءِ: القُبحُ[4]، وهو كلُّ ما يَغُمُّ الإنسانَ من الأمورِ الدُّنيويَّةِ، والأخرويَّةِ، ومن الأحوال النَّفسيَّةِ والبدنيَّةِ والخارجةِ، من فوات مالٍ وجاهٍ وفقْدِ حميمٍ[5]، والمعنى هُنا في الآيةِ: ظهَر فيها السّوءُ لِما حلَّ بها، وقبُحَتْ بالسَّوادِ وأثرِ الكآبةِ[6].

3) ﴿تَدَّعُونَ﴾: من الدُّعاءِ، ثمّ أُعِلَّ ثُمَّ أُدغِم، أو تَدَّعونَ أن لا بعثَ، فهو من الدَّعوَى، وأصلُ (دعو): أنْ تُميلَ الشَّيءَ إليكَ بصَوتٍ وكَلامٍ يَكونُ مِنكَ[7]، والمعنى هُنا في الآيةِ: تَطلُبونَ، وتَستعجِلونَ[8].

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (زلف).
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 220.
(3) الخليل، العين: (سوأ).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سوأ).
(5) الرّاغب، المفردات: (سوأ).
(6) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 5/ 343، وابن جزيّ، التّسهيل لعلوم التّنزيل: 2/ 397.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دعو).
(8) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 232، وابن جزيّ، التّسهيل لعلوم التّنزيل: 2/ 397.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيانُ مشهدِ الكُفّارِ عند معاينَةِ العذابِ الَّذي أنكروهُ، واستَعْجلوهُ

تذكُرُ الآية الكريمةُ موقِفَ المشركين وحالَهم عندَما يرَونَ العذابَ، فتقول: فلمّا عاين أولئك الكافرونَ ما وُعِدوا به قريبًا منهم؛ ساءَهُم، وأفزَعَهم، وأخذَهُم الهلَعُ والفزع، واسودَّت وجوهُهم من شدَّة الكَرْبِ، وقَبُحَت، وقيل لهم على جهةِ التَّوبيخ والتَّقريع يوم القيامة: هذا هو العذابُ الَّذي كنتُم تُلِحّون في طلبِه، وتستعجلونَ به استهزاءً وسُخريةً في الدُّنيا[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مَعْنى الفاء ودلالتُها:

طَيُّ الأحداث الكثيرةِ وإظهارُ الأَلصَقِ بمُراد السّياق

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ فصيحةٌ، كاشفَةٌ عن جُملةٍ محذوفةٍ دلَّ عليها السّياقُ؛ إذِ التَّقديرُ: فحلَّ بهم ما وُعِدوا به، فلمّا رأوه زلفةً، أو على تقدير جُملتَين: وقد أتاهم الموعودُ، فعاينوه، فلمّا رأوه زلفةً، فالفاءُ تُؤذن بترتُّب ما بعدها على ما قُدِّر قبلها، فجاءتِ الجملةُ إيذانًا بسرعة دُنوِّ الوعد ووقوعِه، وكأنَّه لم يُمْهِل بَيْنَ البشارة بقدوم العذاب وبَيْنَ مشهد رؤيتهم له إلّا فاءٌ عاطفةٌ تُسابِق الزَّمن[2].

دلالةُ استِعمال (لمّا):

دلَّ مجيء (لمّا) الظَّرفيَّة الشَّرطية على التَّوقيت المقترن بالشَّرط، أي: في الوقتِ الَّذي عاينوا فيهِ ما وُعِدوا به اسوَدَّت وجوهُهم[3]، فاقْتَرَن وقتُ الرُّؤية بالمَساءَة حتّى التَصَقَ.

بلاغَةُ استِعمالِ مفردَةِ ﴿رَأَوْهُ﴾:

مَن لَم يَنفَعهُ عَقلُهُ في الدُّنيا؛ ساءَهُ نظرُهُ في الآخرة

آثر النّظمُ الكريم استعمالَ الفعل ﴿رَأَوْهُ﴾، والمقصود بالرُّؤية هُنا:

(1) الواحديّ، الوسيط: 4/ 330، 331، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 220، وابن كثير، تفسير القرآن العزيز: 8/ 182، والبقاعيّ، نظم الدُّرر: 20/ 265، والسَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 878.

(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 10، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 49، والدَّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 161.

(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 49.

الرُّؤيةُ البصريَّةُ الحِسّيَّة، لا مُجرَّد العلم، أي: إنَّهم عاينوا العذابَ الموعود عيانًا بالأبصار حين أظلَّهم في اليوم المشهود؛ وذلك لبيان أنَّ القومَ لا يُصدِّقون إلّا بالمشاهدة الحسّيّة، ففيه إيماءٌ إلى ضَعْفِهم في استعمالِ عُقولِهم، وهو تهكُّمٌ بهم وتوبيخٌ، وفيه أيضًا وعيد شديد بأنَّهم سَيَرَوْنَهُ عيانًا، ويترتَّب على تلك الرُّؤْيَةِ ما ذُكر في الآيةِ.

نكتةُ التَّعبير بصيغةِ المُضِيِّ:

التَّصويرُ بالماضي أرسَخُ في التَّهديد وأبلَغُ في التَّخويف

جاء التّعبير بالفعل ﴿رَأَوْهُ﴾ ماضيًا، مع أنَّ السّياق دالٌّ على حدثٍ مستقبليٍّ، ونكتةُ ذلك إبرازُ صورةِ الوعيدِ في هيئةِ أمْرٍ قد وقَعَ، وانقَضى، لا مجرَّدُ وعدٍ مُنتَظَرٍ، فالتَّعبير بالماضي هُنا يُفيد التَّحقيقَ والتَّوكيد؛ إذْ هو صادرٌ عن اللهِ تَعالى الَّذي لا يُخلِف الميعاد، وليُصاغ المشهَدُ، كأنَّه واقعٌ حاضرٌ مُتحقِّقُ الوقوع، لا مجالَ للرَّيب فيه، فالتَّصوير بالماضي أرسخُ في التَّهديد، وأشدُّ إيقاعًا في النُّفوس؛ إذ يَنْقُلُ المستقبلَ المرهوب إلى مقامِ المُشاهدَةِ والمُعاينَة[1]، وأيضًا فإنَّهُ قد عُبِّرَ بالماضي؛ لأنَّ ذلك الأمر قد تقرَّر، وانتهى حكمُه في علمِ الله تعالى، وجَرى به قَضاؤُهُ[2].

تعيينُ مرجِعِ الضَّمير:

معاينةُ العذاب الموعود في اليوم المشهودِ

الضَّمير في الفعل ﴿رَأَوْهُ﴾ عائدٌ على العذاب الموعود الَّذي طالما كذَّب به المشركون، واستهزؤوا بقدومه، فصار مَشهدًا حاضرًا أمامَهم، وبهذا التَّوجيه يتجلَّى الوعيدُ الغَيْبيُّ في حقيقةٍ مُشاهَدَةٍ، تزيدُ مِن حَسْرَتِهم، ويَعْظُم بها وقْعُ المُفاجأة عليهم؛ إذ رأوا بأعيُنِهم ما كانوا بهِ يكذِّبون[3].

بلاغَةُ المَجاز في إطلاقِ المَصْدَرِ وإرادةِ غَيْرِهِ:

جاءت كلمة ﴿زُلْفَةً﴾ في الآية حالًا من مفعول ﴿رَأَوْهُ﴾، وهي

(1) أبو السُّعود، السعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 10، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 49، 50.
(2) البالِيسانيّ، حسن البيان: 6/ 2614.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 229، وإسماعيل حقّي، روح البيان: 10/ 96.

مصدَرٌ على تقديرِ مُضاف، أي: رأوه ذا زُلْفَةٍ[1]، أي: ذا قربٍ شديدٍ منهم، فالمصدر أُقيم مُقامَ الوَصْفِ للمُبالغة في تصويرِ دنوِّ العذاب، ويَحْتَمِل أن يكون بمعنى: الفاعل، أي: مُزْدَلِفًا، فجاء المصدر بدلًا عن اسمِ الفاعل[2]؛ لِما في ذلك مِن تقويةِ المعنى وإشعارهم بأنَّ العذابَ نفسَه هو الَّذي تقرَّب، واقتربَ مِنْهُم، كأنَّه كائنٌ يَزْحَفُ باتِّجاههم، وقد يكون على معنى الظَّرفية، أي: رأوه في مكانِ ذي زُلفة، أي: في موضعٍ قد دنا منهُم، واقترب، وهذا تصويرٌ بيانيٌّ يُحيل الخوفَ إلى مكانٍ محيطٍ يطوِّقُهُم مِن كلِّ جانب، وعلى جهةِ المُبالغة، أي: رأوه شديدَ القُرْبِ، فإطلاقُ المَصْدَر وإرادةُ الوصفِ أبلَغُ في الدّلالة[3]، وجميع الاحتمالاتِ محمولَةٌ على المجازِ المُرْسَلِ أو المجاز بالحذف.

المُبالغة في تصويرِ دُنوِّ العذابِ وشِدَّته عليهِم

بلاغَةُ الكناية بالتّأنيث:

أكَّد النَّظم الكريم المبالغةَ بالتّاء في ﴿زُلْفَةً﴾؛ لأنَّها تَرِدُ للمُبالغة؛ إذا لَم يُرَدْ منها التَّأنيث[4]، وذلك بتشبيهِهِ بالدّاهية، وفيه كنايةٌ عَن الأهوال الَّتي تكون في ذلك اليوم العظيم[5].

بلاغَةُ استِعْمالِ أسلوب الشَّرط:

(لمّا) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ ظرفيَّةٌ شرطيَّة غيرُ جازمة، وجملةُ: ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هي جوابُ الشَّرط، لا محلَّ لها من الإعراب[6]، واستخدام الشَّرط فيه تشويقٌ لمعرفة النَّتيجة، كما جاء أسلوبُ الشَّرط؛ لتَصْوير التَّلازم الوثيق بَينَ الرُّؤية ونتيجتها، فعند سماعِ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ يُسابق

جوابُ الشّرط يدلُّ على عزّة المتكلِّمِ وقوّة الكلامِ

(1) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 582، وأبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 229.
(2) القُرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 220، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 10.
(3) الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 10/ 394، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 23، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 50.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 20/ 265.
(5) الماتريديّ، تأويلات أهل السُّنَّة: 10/ 129.
(6) الدَّعاس، إعراب القرآن الكريم: 3/ 365، والعلوان، إعراب القرآن الكريم: 4/ 2504.

الذِّهنُ الكلامَ لمَعْرِفَة جواب الشَّرط، وما الَّذي سيكونُ، وهو يدلُّ على قوَّةِ الكلام، وعزَّةِ المتكلِّم، وغَضَبه على المُنْكِرين، والعربيُّ بطبعه الفصيحِ وذوقه الأصيل يَسْتَشِفُّ هذه المعانيَ، ويُدرك هذه المَراميَ.

بلاغَةُ استِعمالِ مُفْرَدَةِ ﴿سِيٓـَٔتْ﴾:

الإيماءُ إلى مُعاكسَةِ ما كانَ عليهِ المُشْرِكون في الدُّنيا

في اختيار الفعلِ ﴿سِيٓـَٔتْ﴾ تصويرٌ لأثر العذابِ على وجوهِ الكافرين؛ إذ دلَّ على تغيُّرها تغيُّرًا قبيحًا، فاسودَّت، وعَلَتْها الكآبةُ والقَتَرةُ، وغَشيَتْها الذِّلّةُ والإظلام، وأيضًا فإنَّ الفعل هنا ليس من بابِ (بِئْسَ) الَّذي يُستعمل للذَّمِّ، وإنّما من ساءَ يسوءُ، أي: قَبُح، وقَتُم[1]، فجاء في هذا السّياق؛ ليعبِّر عن التّغيُّر الحسّيّ والمعنويِّ معًا: تحوُّل الصّورة الظّاهرة، وتحطُّم الباطنِ بالغمّ والحُزن؛ ليُعاكس ما كانوا عليه في الدّنيا، من ابيضاضِ الوُجوه بالرّاحة والاسترخاءِ في الغَفْلَة عَن دار الجزاءِ.

دلالَةُ بناءِ الفِعلِ للمَفعولِ:

العِنايَةُ بإبراز حالِ الوُجوه والتَّنبيهُ على مآلها

بُنِي الفعل ﴿سِيٓـَٔتْ﴾ للمفعولِ، أي: ساء وجوهَهُم رؤيَةُ ذلك الوعد[2]، أي: أحْزَنَها، وأكْسَبَها قُبْحًا، فبُنِي الفعلُ للمَفْعولِ لمَزيدِ العِناية بإبراز حالِ الوُجوه نفسِها، فيُبرِز ما اعتراها من كآبةٍ وذُلٍّ وقَتَرة، دون التّفكير في الفاعل، فهو معلومٌ، وتوزيع المعاني على الفاعل والمفعولِ يُضْعِفُ التّركيز على أحَدِهما، وهذه فلسفَةُ بناءِ الأفعالِ للمفعول، وهو التّنبيهُ على المرادِ مِنَ المَفعولِ.

بلاغَةُ الكِنايَةِ ودلالَتُها:

شدَّة الحُزْنِ والفَزَع تُسيءُ الوجوهَ، وتَكْشِفُ بواطِنَها

قوله تعالى: ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كنايةٌ عن الحُزْن والفزع والخوف والهلَع الَّذي سَيَعْلو وجوهَ المشركين يوم القيامة، وإنّما جُعِلت المَساءةُ باديةً على وُجوهِهم؛ لأنَّ الوجوهَ مرآةُ البواطِن،

(1) القنّوجيّ، فتح البيان: 14/ 247.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 50.

فإذا اسودَّت، وعَلَتْها الكآبة والقَترةُ؛ كان ذلك دليلًا على ما استقرَّ في قلوبهم مِنَ الخوف والغمِّ والخذلان، فهي كنايةٌ عن شدَّة ما نالَهُم من العذاب، وعن انكشافِ حقيقةِ كُفْرِهم، على نحو ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: 106][1]، فجمع التَّعبيرُ بين الإيجازِ والإيحاء؛ إذْ أظهرَ الأثرَ، ودلَّ بِهِ عَلى المُؤثِّر.

بلاغَةُ التّضمين:

ضُـمِّـن الـفـعـل (سـيـئـت) مَعْنى التَّقبُّض والعُبوسِ

أُسْنِد الفعلُ ﴿سِيٓـَٔتْ﴾ إلى الوجوهِ في قوله تعالى: ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ لتَضْمينِ الفعلِ معنى (كلحَت) الدّالِّ على التَّقبُّض والعُبوس، ففي الإسناد تصويرٌ حسّيٌّ للشُّعورِ النَّفسيِّ؛ إذ انتَقَلَ الأثرُ من الباطنِ إلى الظّاهرِ، فانعَكَسَ عليهِ، فكانت الصّورةُ أشدَّ وقعًا وأقوى تبكيتًا[2].

توجيهُ تخصيصِ الوُجوه بالذِّكْر:

الـوجـوهُ أشـرَفُ أعضاءِ الإنسانِ، فـإذا سـاءَتْ؛ ساءَ غيرُها

خصَّ النَّظمُ الكريم الوجوهَ بالذِّكر؛ لأنَّها أشرفُ ما في الإنسان، ومَجمَعُ ملامحِه وعُنوان حالِه الَّذي يَظْهَرُ عليه أثَرُ المسرَّة والمساءَة، فهيَ أبرَزُ مَوْضِعٍ يَبدو عليهِ أثرُ الكآبة والغمِّ وشدَّة الحزن، فكان ذِكرُها أبلغَ في تصويرِ الفَضيحة وكَشْفِ ما اعتَمَلَ في النُّفوس من انكسارٍ وهوان[3].

نُكْتَةُ إظهارِ ما حقُّه الإضمار:

بـيـانُ عِـلَّـة اسـتـحـقـاقِ المَـسـاءَةِ إنـذارٌ لـهـم وتـخـويـفٌ لِمَنْ بَعْدَهُم

أظهر النّظمُ الكريم الاسمَ الموصول ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بدلَ الإضمار، فلم يأتِ البيان القرآنيُّ: (سيئَت وجوهُهُم)، فأفْصَحَ عَن ذِكْرِ الموصول؛ ليَقْرِنَ ذِكْرَهم بعلّة استحقاقهم لتلك المَساءة – وهي الكفرُ – وذمِّهم بها، فيكون في ذلك توبيخٌ لهم، وفضحٌ لحقيقتِهم، وتشديدٌ في توعُّدِهم بالعذاب، وتخويفُ مَن بَعْدَهُم[4].

(1) الشَّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 316.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 50.
(3) القونويّ، حاشية القونويّ على تفسير البيضاوي: 19/ 214، والهرريّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 30/ 71.
(4) الحصنيّ، المقتطف: 5/ 291، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 10.

مُناسبَةُ العَطْفِ بينَ الجُمَلِ:

الجمعُ بَيْنَ ما يَرَوْنَهُ ممّا يُسيءُ الوجوهَ ويُفجِعُ الآذانَ

عُطِف قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ﴾ على الفعل ﴿سِيٓـَٔتْ﴾؛ ليَجْمَعَ بينَ مَشْهَدِ إساءة وجوه الكافرين عند رُؤية العذاب، ومشهَدِ التَّوبيخ والزَّجر بقولِ الملائكةِ لَهُم: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾، فكان العطفُ بالواو أدقَّ في تصويرِ تتابُعِ الأهوال، وإبراز تعدُّد المشاهد المُرْعِبَة، فجَمَعَ المشهَدُ بين ما يرونَهُ مِن مشاهِدَ مفزعةٍ، وبين ما يسمعونَه من أقوالٍ مُفْجِعَة؛ فجمَعَ لهُم النّظمُ بين مساءَةِ الوجوه وإفْجاعِ الآذانِ والقُلوب.

نكتَةُ بناء فعلِ القَوْلِ للمفعول:

العنايةُ بالمَقول بما فيهِ مِنَ التَّبكيت والتَّقريع بقطع النَّظر عن القائلِ

بُنِي الفِعْلُ (قيل) للمفعول؛ لأنَّ المقصود من السّياق إظهارُ المقولِ بما فيه من التَّبكيت والتَّقريع[1] لا ذكر القائِل، فحُذِفَ القائلُ مِن باب الإيجاز[2]، وفي ذلك أيضًا إمعانٌ في التَّشديد عليهم؛ إذْ لا شيءَ أوجَعُ على النَّفس مِن أن يُسمع التَّقريع عندَ نُزولِ العذاب مِن غيرِ حاجَةٍ إلى تعيين فاعله[3]؛ ليكون أوسَعَ وقعًا وأشدَّ إيلامًا.

بلاغَةُ القَصْرِ بتَعْريفِ جُزْأيِ الجملةِ:

التَّعريضُ بالكفّار وتصويرُ شِدَّة جُحودِهم

القصرُ المُستفادُ من تعريفِ جُزأيِ الإسنادِ في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى﴾ يتضمَّن تعريضًا بالكافرين؛ إذ صوِّروا - لشِدَّة جُحودِهم - كأنَّهم لو عايَنوا الوعدَ بأعْيُنِهم؛ لظنّوه أمرًا آخرَ غيره، فلا يُسَلِّمون بحقيقتهِ إلّا عندَ وُقوعِه[4].

وجهُ التَّعبير بالمَوْصولِ:

في اختيارِ المَوْصولِ في قوله: ﴿ٱلَّذِى كُنتُم﴾ إيماءٌ إلى ما تقدَّم مِن عِنادِهم ومَكْرِهم واستكبارهم؛ ليُذكِّرَهم بالصِّفة المذمومة الَّتي جَلَبَت لَهُم هَذا الجزاءَ[5].

---

(1) إسماعيل حقّي، روح البيان: 10/ 96، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 10.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 51.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 20/ 265.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 51.
(5) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 20/ 265.

دلالَةُ ذِكْرِ فِعْلِ الكونِ الماضي:

رسـوخُ العِنـادِ والجُحودِ فيهِم

آثر النّظمُ الكريم ذِكْرَ فِعل الكونِ ﴿كُنتُم﴾ دون أن يردَ البيانُ القرآنيُّ: (هذا الَّذي ادَّعيتم)؛ إشارةً إلى أنّ ما كانوا عليه مِن العناد والجحودِ ثابتٌ فيهم على جهة الجِبِلَّة والطَّبع الرّاسخ[1].

نوعُ الباءِ ودلالَتُها:

حرفُ الجرِّ (الباء) في قوله تعالى: ﴿بِهِۦ﴾ يفيدُ السَّببيَّةَ، أي: بسببه ومِن أجلِه، فالمعنى: هذا هو العذابُ الَّذي كنتُم بسبَبِه تدَّعون أنَّكم لا تُبْعَثون[2].

فائدَةُ تقديمِ القَيْدِ ﴿بِهِۦ﴾:

العنايَةُ بالمُقَدَّم لغَرَضِ التَّحسير والتَّنديم

قُدِّم ذكر الجارِّ والمجرور ﴿بِهِۦ﴾ على عاملِه ﴿تَدَّعُونَ﴾؛ لإظهار شدَّة الاهتمامِ بشَأْنِه، والتَّنبيهِ على خُطورَتِه في مقام التَّوبيخ، مع ما فيهِ مِن مُراعاةٍ للفاصلةِ القرآنيَّة، الَّتي تُكسِب الآية انسجامًا وجمالًا صوتيًّا في النَّظم[3]، وفيهِ تحسيرٌ عَلى ما مَضى مِنْهُم.

براعَةُ استِعمالِ مفردة ﴿تَدَّعُونَ﴾:

اختيارُ المُفْرَدَة الدّالَّة على واقعِ المُنْكرينَ في الدّنيا أشدُّ إيلامًا وأقوى تَحْسيرًا

آثر النّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالفِعْل ﴿تَدَّعُونَ﴾ بصيغة المضارع المزيد بالتَّضعيف؛ للدَّلالة على شدَّة الطَّلب الصّادر عن المشركين في الدّنيا وتَكراره بإلحاحٍ، كحالِ مَن يَستَعجِل إنزالَ المَكْروه بهِ استهانةً به، ويُلِحُّ في كُلِّ وقتٍ على هذا الادِّعاء، مُعْرِضًا عن السَّعي في دفْعِ العَذاب أو التَّخلُّص من أسبابه[4]، فهو استحضارٌ للصّورة السّابقة؛ لتَوْريثِ الحَسْرَةِ الدّائمة، فإنَّ مَن عانَدَ؛ لهُ رتبَةٌ، ومَن أصرَّ على عنادِه؛ له رتبَةٌ أشَدُّ، ومَن أصرَّ على عناده بتَكرارٍ مستمرٍّ؛ له رتبة أعْتى وهكذا، وقد حقّق أولئك أشدَّ رُتَبِ العناد والإنكار، فكان

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 20/ 266.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 597، والعليميّ، فتح الرَّحمن: 7/ 118.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 50.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 20/ 266.

اختيارُ المفردة مناسبًا لواقعهِم في الدُّنيا جزاءً وفاقًا، ومِن معاني ﴿تَدَّعُونَ﴾، أي: تدَّعون أنَّه باطلٌ لا يأتيكم، أو هذا الَّذي كنتُم بسببه تدَّعون أنَّكم لا تُبْعَثون، والاحتمالانِ قائِمان وصادِران عَن المُشْرِكين في الدُّنيا.

بلاغَةُ الإيجاز:

الـجَـمْـعُ بـينَ معنى الادّعـاء بـالاسـتـعـجالِ والـتَّـكـذيـب بالبَعْثِ

تعلَّقَ الجارُّ والمجرورُ بالفِعْلِ ﴿تَدَّعُونَ﴾ بَعْدَ أن ضُمِّن معناه (تُكذّبون)؛ فحُذِف معمولُ الفِعْلِ الأصليِّ، وأُقيم معمول التَّضمين مُقامه، فدلّ المذكورُ على المَحْذوفِ، وهذا مِن أرقى أساليبِ الإيجاز؛ إذْ جَمَعَ التَّعبيرُ بين معنى الادّعاء بالاستعجالِ والتَّكذيب بالبعثِ والعذاب، فجَمَعَ النَّظمُ القُرآنيُّ هذه المعانيَ كُلَّها في عبارةٍ وجيزة مُحْكَمَة[1].

توجيهُ القراءاتِ القُرآنيَّة:

التَّـنـويـع في المعاني بحَسَبِ تَغايُر المَبَاني

قرأ يعقوبُ الحَضْرميُّ: ﴿تَدْعُونَ﴾ بسكون الدّالِ مِن الدُّعاء[2]، أي: هذا هو العَذابُ الَّذي كُنتُم تَدْعون اللّهَ تَعالى ليَأتيَكم به؛ تَهكُّمًا مِنْكُم وعِنادًا[3]، وقرأ باقي العشرة: ﴿تَدَّعُونَ﴾ بفتح الدّال المشدَّدة[4]، أي: تطلبون، وتُلحّون في طلبه، أو تكذّبون بالبعث، فتدَّعونَ أنَّكم لا تُبعثون بعد الموت، أو تَمْتَرون وتشكّون، وقيل معنى تدَّعون: تَتَمنَّون[5]. فتَنَوَّعت المعاني في اللَّفظ الواحد، وهذا مِن مُمَيِّزات النَّظم الكريم وبلاغَته العالية، والقراءتان جَمَعَتا بَيْنَ تصويرِ عنادِ الكافرين في استِدعاء العذاب استهزاءً، وبَيْنَ إصرارهِم على التَّكذيب بالبَعْثِ والمَعاد.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 597، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 50.
(2) ابن الجزريّ، النَّشر: 2/ 389.
(3) الأزهريّ، معاني القراءات: 3/ 81، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 597، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 50.
(4) ابن الجزريّ، النَّشر: 2/ 389.
(5) مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان: 4/ 394، والزَّجاج، معاني القرآن: 5/ 201، والماورديّ، النكت والعيون: 6/ 57، وأبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 229.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والستون،
سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والستون، سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 63 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-00-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 63 : المجلد الثالث والستون، سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-00-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7111585 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"